ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

جامع الباشا بوهران

The Mosque of Hassan Pasha in Oran

د. علي بوتشيشة *

Dr.BOUTCHICHA ali

أستاذ محاضر ب في علم الآثار– معهد الآثـار– جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

البريد الإلكتروني: ali.boutchicha@hotmail.fr

Abstract:

The religious monuments have occupied the highest and foremost place among the types of monuments erected by the Ottomans in the various cities of Algeria and including Oran, as was the case during the previous eras, that Islam encouraged its construction for the great reward. It is worth mentioning that the architectural activity that took place in Oran on the Ottoman era is much greater than what has been written about it or what there remained architectural effects despite the short period of Ottoman rule, as the studies carried out in this field by the French and the Spaniards in particular neglected that period, and on the other hand the occupier carried out a very extensive demolition campaign that destroyed most of what was built during Ottoman era, including the new city, which was built by the Bey Mohammed El-Kebir on the right bank of the Wad al-Rihi , which We have only a very small number of architectural landmarks left, perhaps the most prominent being the Hassan Pasha Mosque.

The mosque of Pasha is one of the important archaeological and historical monuments of Oran. Mohammed Bey began its construction after liberating the city from the Spanish occupation, and the work was completed in 1796. The mosque of Pasha is the only mosque in the remaining archaeological city constructed according to the Ottoman-style expatriates. This manifests itself mainly through its prayer room and its central dome surrounded by smaller domes on each side and also through its polygonal minaret, which is therefore not different in terms of its characteristics in many of these Ottoman-style mosques which belong to the same period in other cities of Algeria. This mosque has preserved its original character both in terms of its architectural plan and artistic decorations.

Because of its damage, in particular at the level of the prayer room, its condition requires that the authorities concerned undertake an urgent restoration process to preserve it as a cultural and historical heritage.

* تاريخ استقبال المقال:2017/06/20 تاريخ المراجعة:2017/09/28 تاريخ القبول:2017/10/05

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

Key words *; The mosque of Pasha; Oran; Algeria; Mohammed Bey; Hassan Pasha ; Ottoman-style ; religious monuments; Ottoman era; Wad al-Rihi; heritage.*

مقدمة : لقد احتلت العمائر الدينية المكانة الأسمى والمقام الأول بين أنواع العمائر التي عكف العثمانيون على إقامتها في مختلف مدن الجزائر ومنها وهران، كما كان الحال خلال العصور السابقة، ذلك أن الشارع الحكيم شجّع على بنائها لما في ذلك من الثواب العظيم، بل وأحيانا أوجب إقامتها وشدد في ذلك كما هو الحال بالنسبة للمساجد حفظا لمقصد مهم من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو الدين، وعليه فليس من الغريب أن تُعدّ المساجد في الجزائر أو في غيرها من البلاد الإسلامية أهم البناءات الدينية على الإطلاق والأكثر حضورا وعددا مقارنة بغيرها من البناءات.

والجدير بالذكر أن النشاط المعماري الذي جرى في وهران على عهد العثمانيين أكبر بكثير مما سبق وأن كُتِبَ عنه أو ما تَخلف برغم قصر فترة الحكم العثماني، ذلك أن الدراسات التي أُنجزت في هذا المجال من قبل الفرنسيين والأسبان على الخصوص أهملت تلك الفترة، ومن جهة أخرى فقد قام المحتل بحملة هدم واسعة جدا طالت معظم ما بني خلال العهد العثماني، ومن ذلك المدينة الجديدة التي شيدها الباي محمد الكبير على الضفة اليمنى من وادي الرحى، والتي لم يتبق لدينا منها إلا عدد ضئيل جدا من المباني.

ومن جهة أخرى عرفت وهران ومنذ نشأتها الأولى سنة 290هـ/903م وإلى غاية العام 1247هـ/1831م بناء العديد من المساجد وخلال فترات متفاوتة، إلا أننا لا نعرف على وجه الدقة عددها على غرار باقي المدن الكبرى في الجزائر، لاسيما وأن أغلبها لم يسلم من التدمير والتخريب من جهة، والتحويل إلى كنائس من جهة أخرى خلال الاحتلال الإسباني الأول والثاني ثم خلال الاحتلال الفرنسي، والتي امتدت جميعها إلى ما يقارب الأربعة قرون كاملة، وما بقي من هذه المساجد وسلم من التخريب والتدمير والتغيير يرجع في شكلها الحالي إلى الفترة العثمانية– حتى وإن بُنِيَ بعضها على أنقاض مساجد أقدم عهدا، وهي جامع محمد بن عثمان الكبير وجامع الباشا ومسجد الإمام سيدي الهواري، يعود اثنين منها على الأقل إلى فترة الحكم العثماني الثاني والتي امتدت لـ39 سنة.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ومع ذلك وبالرغم مما طال عمائر العهد العثماني بالمدينة من تخريب وهدم فإن ما تخلف منها يُعد من الشواهد الأثرية الهامة التي منها نستقي الخصائص المعمارية والفنية لعمائر تلك الفترة وفي مقدمتها المباني الدينية والمتمثلة خصوصا في المساجد.

ومما لا شك فيه أن جامع الباشا الذي بُنِيَ بعد التحرير النهائي للمدينة من الإسبان وبأمر من باشا الجزائر حينذاك حسن وقريبا من قصر الحكم؛ كان هو عنوان الحكم العثماني بوهران والجامع الأعظم، حيث ظل يرتاده البايات والأغوات طيلة الفترة الثانية من حكمهم، والذي يعتبر المعلم الوحيد الباقي الذي شُيّد على طراز المساجد العثمانية ذات القبة المركزية، حتى يكون رمزا للتواجد العثماني بهذه المدينة على غرار ما كان عليه الحال في باقي مدن الجزائر، وهو الذي كان يُسَيَّرُ حسب اعتقادنا وفق المذهب الحنفي.

موقع الجامع وتاريخ بنائه: يقع على الضفة اليمنى لوادي الرّحى قبالة قصر الباي، عند شارع بن عمر بوتخيل (شارع فيليب سابقا)، والذي يلتف حوله من ثلاث جهات: الشرقية والغربية والشمالية، أما من جهة الجنوب فيحده شارع "المسجد".

شيّده الباي محمد الكبير بأمر من الباشا حسن بُعيد فتح وهران تخليدا لهذه الذكرى، وقد ذكر ذلك الزياني؛ واحد من الكتاب المعاصرين للباي– حيث قال: "... وقد بنى (يقصد الباي محمد الكبير) الجامع المعزو للباشا حسن..."[1]، كما أشار المزاري إلى ذلك قائلا: "... وبنى أيضا الجامع الأعظم المعروف بها بجامع الباشا للآن وهو حسن باشا..."[2].

وتوجد كتابة تذكارية تذكر تاريخ تأسيسه وتعطينا قائمة الحبوس الموقوفة على تسيير الجامع نقشت على لوحة رخامية معروضة الآن بمتحف وهران أحمد زبانة، ومما تضمّنه النص: "... قُيّدت هذه الأحباس في أواسط رمضان من سنة 1210هـ (1796م) في ولاية المنصور أبي الحسن السيد حسن باشا أيده الله".

وتشير المصادر التاريخية إلى أن الجامع بناه الباي محمد الكبير بأمر من حسن باشا تخليدا لفتح وهران، حيث بعث له هذا الأخير مالا كثيرا لصرفه في أعمال البناء[3]، كما يذكر المزاري أنه عُثر على كنز ذهبي حين الشروع في حفر الأساسات، وقد أنفق في أعمال البناء أيضا[4]،

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

بينما تزعم المصادر الأجنبية أن مصادر تمويل بنائه جاءت عن طريق المال المحصّل من بيع الأسرى المسيحيين[5].

شرع في بنائه مباشرة بعد فتح وهران عام 1207هـ/1792م، وأشرف على أعمال البناء أمين البنّائين محمد الشرشالي بن تدبيرت[6]، وتمّ الانتهاء منه سنة 1210هـ/1796م، وعلى الرغم من الترميمات والتعديلات التي تعرض لها المبنى منذ إنشائه؛ إلا أنه حافظ على طابعه الأصيل.

غداة الاحتلال مباشرة أقام به فيلق للجيش الفرنسي، ولم يُسلم إلى الجزائريين إلا عام 1835م[7]، حيث ظل يؤدي دوره خلال تلك الفترة، وقد رتب ضمن المساجد ذات منابر الخطب (الجمعة والعيدين) بحسب التصنيف الذي أصدرته سلطات الاحتلال سنة 1851م والخاص بأهمية المسجد والمدينة الواقع فيها، له إمام ومفتي يتقاضيان مرتبهما من إدارة الاحتلال[8]، وكان من بين الذين درسوا بالجامع ومارسوا الفتوي بالمدينة حميدة بن القائد عمر المتوفى سنة 1870م، ومن بعده الشيخ علي بن عبد الرحمن الذي يكون قد توفى سنة 1324هـ، إضافة إلى الشيخ حريزي سي الحبيب البخاري المولود حوالي العام 1830م الذي أحيل على التقاعد سنة 1907م، كما درس بجامع الباشا في بداية القرن العشرين كل من الشيخ رحال منور والشيخ عبد الرحمن رستان[9]، وبعد الاستقلال استمر في أداء رسالته التي بني من أجلها.

وقد سجلنا تشققات على مستوى أرضية بيت الصلاة والدعامات والأعمدة، كما امتدت هذه التشققات إلى بعض القباب، بالإضافة إلى أضرار أخرى كثيرة والناجمة بالأساس عن عدم استقرار الأرضية بسبب تسرب وتجمع للمياه أسفل الأرضية[10]، ونظرا للحالة المتردية التي وصل إليها والأضرار التي لحقت بيت الصلاة خاصة والخطر الذي قد يهدد المصلين في حالة انهياره من جهة، ولفسح المجال أمام مكتب دراسات لإجراء الدراسة التقنية حول الجامع بغية ترميمه؛ فقد أُغْلِقَ أمام المصلين يوم 26 ماي 2010م من طرف مديرية الشؤون الدينية والأوقاف[11]، تبعا لقرار ولائي صدر بهذا لخصوص[12]، إلا أن الأعمال المتعلقة بترميمه راوحت مكانها، ولم تشهد أي تقدم، ومؤخرا قامت مؤسسة تركية بإجراء دراسة تقنية حول المسجد بغية التكفل بترميمه.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

وللعلم فقد صنف الجامع كمعلم تاريخي يوم 6 أوت 1952م، أما مئذنته فصنفت قبل ذلك بتاريخ 29 ديسمبر 1906م، ليعاد تصنيفهما بعد الاستقلال بتاريخ 19 رمضان 1387هـ/ 20 ديسمبر 1967م[13].

المؤسس: بالرغم من أن الكتابة التأسيسية– الوقفية تنسب بناء هذا المعلم للباشا حسن إلا أن بانيه في حقيقة الأمر هو الباي محمد الكبير ثاني بايات وهران بعد الباي مصطفى المسراتي، وأول باي يحكمها عقب التحرير الثاني والنهائي لها.

ولد محمد الكبير بمليانة[14] في أواخر الثلاثينيات من القرن الثامن عشر على الأرجح، كان والده عثمان الكردي خليفة بمليانة ثم صار بايا بتيطري[15]، ولما قُتل والده في حربه مع ثوار عمور سنة 1170هـ تكفل بابنه محمد وباقي أفراد أسرته أبو اسحاق إبراهيم المليانى الذي تولى مكانه بالمدية. ثم زوجه ابنته وأشركه معه في أعمال الإدارة، ولما عين بايا لبايليك الغرب أخذه معه[16].

ونظرا لما كان يتمتع به الباي محمد الكبير من خصال وصفات وقدرة على الإدارة؛ عينه صهره الباي إبراهيم قائدا على قبائل فليتة[17] عام 1178هـ/1764–1765م، واستمرت قيادته لها إلى غاية 1181هـ/1768م[18]، وفي ذات السنة رقّاه الباي إبراهيم إلى منصب خليفة حيث أسند له مهمة تسيير وإدارة شؤون الرعية المستقرة في القطاع الشرقي لبايليك الغرب واتخذ مقره بمليانة.

وبعد وفاة الباي إبراهيم عام 1185هـ/1771م خلفه في منصبه الحاج خليل، وبعد وفاة هذا الأخير عين الباشا محمد عثمان مكانه محمد بن عثمان وذلك في 20 جمادى الثانية 1193هـ/5 جويلية 1779م[19].

وعقب تعيينه شرع الباي الجديد مباشرة في إصلاحاته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فمعسكر التي كانت عاصمة بايليك الغرب قبل تحرير وهران بلغت أوجّ عظمتها وشهدت أزهى أيامها تحت حكم الباي محمد الكبير الذي مكث فيها من عام 1193هـ/1779م إلى غاية عام 1206هـ/1792م، وبها شيّد المدارس والمساجد وأنشأ المرافق العامة، فقصدها العلماء وتقاطر عليها الطلبة، وأضحت حاضرة للعلم والمعرفة[20].

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ويعتبر تحرير وهران والمرسى الكبير أعظم منجزات الباي؛ فهذه المدينة كانت خاضعة للاحتلال الإسباني ما يقارب ثلاثة قرون، وبالرغم من أن الباي مصطفى المسراتي فتحها عام 1119هـ/1708م إلا أنها احتلت من جديد عام 1145هـ/1732م، ليعاد تحريرها من جديد ويدخلها الباي محمد الكبير بمعية جيشه يوم الاثنين الخامس من رجب 1206هـ/29 فبراير 1792م[21]، ويتخذها من حينه عاصمة لبايليكه.

توفي الباي محمد بن عثمان الكبير في قيطنة أولاد خديم ببلاد صبيح بالشلف عام 1213هـ/1799م[22]، عند عودته من الجزائر بعد أن أدى دنوشه، ويعتقد أنه مات مسموما، وحول الموضوع قال الزهار: "وقيل في موت الباي محمد أن حسن باشا بعث إليه من سقاه سما، وقيل إنه مات فجأة لأنه مات من غير مرض"[23]، وذهب فاي (Fey) إلى حد تجريم الباشا حسن بوضع السم له في الطعام[24].

نقل جثمانه بعدها إلى وهران حيث دُفن بمدرسة خنق النطّاح– التي بناها من قبل– بأمر من ابنه وخليفته على القطاع الشرقي للبايليك عثمان بن محمد الذي ولاه حسن باشا بايا للغرب خلفا لأبيه[25].

أما من حيث المنجزات المعمارية فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الباي محمد الكبير أنشأ وأصلح الكثير من المباني الدينية والمدنية والعسكرية[26]، ففي معسكر وسّع جامع السوق وأعاد بناء الجامع العتيق، وبنى جامع المبايعة والمدرسة التي كانت بجانبه، وبنا أيضا قناطر وسورا مشهورا وطبانتين للمدافع، وبنى قصرا جميلا، ونقل الماء بالقنوات إلى المدينة، كما بنى في تلمسان ومستغانم والجزائر مباني كثيرة بين مساجد ومشاهد ومدارس، وجدد المدرستين القديمتين بتلمسان[27]، وبنى بالبرج الجامع الأعظم وجامع الكرط[28].

وفي مدينة وهران بنى الجامع الأعظم المعروف بجامع الباشا والحوانيت التي بإزاءه وأسفله، وبنا بخنق النطّاح مدرسة حوّلها إلى مسجد يعرف إلى اليوم باسمه، وبنا المئذنة الجميلة لجامع محمد بن عثمان بالمدينة القديمة، كما بنى أيضا القصر المعروف باسمه، وكان له الفضل الكبير في إنشاء المدينة الجديدة على الضفة اليمنى من وادي الرّحي، والتي تشكلت من ثلاثة أحياء مهمة جديدة وهي حي جامع الباشا والحي اليهودي (درب اليهود) إضافة إلى حي رِحِيّ الريح[29]،

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

كما يكون الباي قد أنشأ فحص القليعية أمام باب الجيارة، وأسكن به السكان القادمين من قلعة بني راشد ابتداء من العام 1790م، إضافة إلى فحصي رأس العين الواقع جنوب حصن القديس فيليب وفحص خنق النطاح، وكان الهدف من إنشاء هذين الفحصين الأخيرين إسكان القبائل شبه الرحل من جهة، ومن جهة أخرى استيعاب الفائض من ساكنة وهران[30].

الدراسة الوصفية– التحليلية للجامع:

المظهر الخارجي: يمتد الجامع من الشرق إلى الغرب، وتبرز منه للعيان واجهتان؛ الواجهة الغربية المشكلة من مستويين (طابقين) نظرا للانحدار الذي يتخذه الموقع كلما اتجهنا إلى الغرب، يتشكل الطابق الأرضي من مجموعة من القاعات كانت عبارة عن حوانيت بناها الباي محمد الكبير وقفا للجامع، استغلت بعضها كميضأة هي الآن غير مستخدمة، إلى يمين الحوانيت توجد دار الباي حسن الملاصقة للجامع في ركنه الجنوبي الغربي بينما يبرز في الطابق الثاني النوافذ الخلفية لبيت الصلاة وعددها سبعة والمسيجة بشبابيك حديدية.

أما الواجهة الشرقية فهي عبارة عن سور نصف دائري طوله 55م، ويزيد ارتفاعه كلما توجهنا نحو الغرب، وينتهي في أعلاه بطنف بارز تنتظم عليه شرفات مسننة تتخللها قبيبات ثمانية الأضلاع ذات وظيفة زخرفية، وأما الواجهتين الشرقية والجنوبية فهي محجوبة ببناءات تعود كما يبدو في معظمها إلى فترة الاحتلال، وبعضها قد يعود إلى الفترة العثمانية إلا أنها غيرت بشكل جد كبير، ولا يبدو من الواجهتين إلا المئذنة الواقعة في الركن الجنوبي الشرقي ذات المسقط المضلع (الصورة 1).

المداخل: يتخلل السور في منتصفه المدخل الرئيسي، وهو عبارة عن مدخل تذكاري أضيف خلال الإحتلال إلى جانب الحجرة التي تتقدمه، يبلغ عرضه 2.63م ويصل ارتفاعه إلى2.15م، وقد حظي– كما يبدو– بعناية المعماري واهتمامه؛ فواجهته الأمامية غنية بالزخارف المنتظمة حول عقد منكسر متجاوز محمول على عمودين مزدوجين.

يزدان ركنا المدخل– الذي يبرز قليلا عن الحائط– بعمودين طويلين يستندان على قاعدة مرتفعة، لهما– أيضا– تاجين ذواي أصول مغربية أندلسية، أما زخارف المدخل فهي عبارة عن زخارف نباتية وهندسية وكتابية.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

يكتنف المدخل الرئيسي على اليسار باب صغير يبدو أنه كان مخصصا لدخول الباي ووزرائه، أبعاده 0.75م عرضا و1.55م ارتفاعا، كما يكتنفه على اليمين مدخل آخر كبير استحدث بعيد الاستقلال، يصل عرضه إلى 2.05م بينما يصل ارتفاعه إلى 2.25م ذو عقد نصف دائري.

حجرة المدخل: نلج عبر المدخل الرئيسي مباشرة إلى حجرة شبه مربعة تتوسط رواقي الصحن مساحتها 3.43م في 3.05م، لها باب غربي وآخر شرقي يفضيان إلى الرواقين عبر سلم نازل، أما من الناحية الجنوبية للحجرة فتوجد شبه شرفة تطل مباشرة على نافورة الصحن تكتنفها أربعة أعمدة رشيقة تحمل ثلاثة عقود ثلاثية الفصوص، تحمل تيجان تذكرنا إلى حد ما بتيجان قصر الحمراء بغرناطة[31]، إلا أن شكل المراوح وطريقة نقشها يبدو مختلفا كثيرا.

وللحجرة قبة جميلة ذات أضلاع ثمانية، يكتنف كل ضلع عرقان، تتقاطع جميعها عند قمة (مركز) القبة مشكلة من نجمة ثمانية الرؤوس، وفضلا عن ذلك يتضمن بطن القبة زخارف جصية متنوعة، وهي تقوم على منطقة انتقال تتكون من مثلثات ركنية ذات حزوز أفقية متوازية وتستند على بوائك معقودة بأربعة عقود.

الصحن والأروقة: يحتوي الجامع في جهته الشمالية على صحن مكشوف أضيف خلال فترة الاحتلال يأخذ شكل نصف قرص، قطر دائرته 22.50م، وتقدر مساحته بـ397.4م^2، يوجد على جانبيه الشمالي– الشرقي والجنوبي– الغربي رواقان اثنان يشكلان– إضافة إلى المدخل– نصف دائرة عمقهما 3.67م وارتفاعهما 3.40م (الصورة 2).

يتكون الرواق الأيمن من سبعة عقود منكسرة متجاوزة تحملها ثمانية أعمدة، نفس الأمر يتكرر بالنسبة للرواق الأيسر إلا أن عقده الأخير مصمت، به باب لغرفة مستحدثة تحوي بئرا داخلها.

يوجد بالصحن حوض ثماني الأضلاع تتوسطه نافورة يعلوها جوسق متصل من أحد جوانبه بقاعدة قبة حجرة المدخل محمول على عقود مشرشفة من جهاته الثلاثة المقابلة للصحن[32]، وتعلو هذا الجوسق قبيبة ثمانية الأضلاع تقوم على منطقة انتقال تتكون من مثلثات ركنية ذات حزوز أيضا، يعلوها سفود بارز يحمل ثلاث كرات من البرونز وهلال.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

بلط الصحن بقطع من البلاطات الحديثة، وهو مزين في وسطه بجنينتين صغيرتين كانت في الماضي تأخذ شكل الرئتين (المخطط 1).

ولئن كان الإشكال سابقا مطروحا حول الخاصية الفريدة التي تميز صحن الجامع وهو شكله نصف الدائري، شكل لم تعرفه مساجد المغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي، وقد كانت الصحون من قبل مستطيلة الشكل أو مربعة أو– أحيانا– شبه منحرفة، لكن وبالاعتماد على مخططي رافوازي (Ravoisié) اللذان يعودان إلى ما قبل سنة 1843م[33]، إضافة إلى بعض الرسومات القديمة، فإنه تأكد لنا أن هذا الصحن تمت إضافته خلال فترة الإحتلال وليس قبل ذلك، ونرجح أن يكون تم ذلك سنة 1864م أو قبلها بقليل، خاصة إذا علمنا أن المدخل الرئيسي تم استحداثه خلال السنة المذكورة[34]، وعليه فإن الإشكال المشار إليه سابقا، وبعدما بينا أنه أضيف خلال فترة الاحتلال لم تعد جدوى من طرحه الآن، وعلى كل فشكل الصحن هذا– والذي بُنيت عناصره على الطراز الإسلامي– أعطى للجامع ككل هيئة جميلة وإن كانت غير مألوفة.

ومن جهة أخرى فقد يكون لهذا الشكل دلالات رمزية أراد من خلالها المستعمر إبراز فكرة أو تصور معين.

بيت الصلاة: ندخل إلى بيت الصلاة من الصحن عبر مدخل متقدم بنحو 50سم عن الحائط عرضه 2.15م وارتفاعه 2.50م، يواجه قبة المدخل الرئيسي، مزدان بدعامتين مزخرفتين، تستندان على قاعدتين عاليتين تحمل تيجان شبيهة بالتاج الكورنثي، يتوجهما عقد نصف دائري ذو شراشف، يعلوه شريط كتابي.

ويقابل هذا المدخل الرئيسي مدخل آخر في الجدار الجنوبي من بيت الصلاة عرضه 1.55م وارتفاعه 2.50م وعمقه 0.67م، كان مخصصا عقب الاستقلال لدخول النساء، ورغم أنه خضع للعديد من التغييرات أفقدته على ما يبدو شكله الأول، إلا أننا لا نشك في أصالته لاسيما إذا اعتمدنا على المخطط الذي وضعه "رافوازي" (المخطط 2).

أما بيت الصلاة فيتخذ شكلا مربعا تقريبا، طول ضلعه الشرقي 28.05م والغربي 28.57م والشمالي 27.70م والجنوبي 27.60م، وتقدر مساحته ب.781.35م^2، وهو يتكون من سبع

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

بلاطات عمودية على جدار القبلة وسبعا موازية له، تقوم في وسط بيت الصلاة القبة المركزية ثمانية الأضلاع، طول أضلاعها يتراوح في الداخل ما بين 3.44م و3.82م، ويصل قطرها إلى 12.60م، تحملها ثمان دعامات وثمانية أعمدة مزدوجة وثمانية عقود منكسرة متجاوزة، تشكل في مجموعها مضلعا ثمانيا.

يحيط بالقبة المركزية اثنتا عشر قبة أصغر حجما، حيث يتراوح طول أضلاعها من الخارج ما بين 1.60م و1.70م، تقوم كلها على منطقة انتقال تتشكل من مثلثات ركنية ملساء، وجميعها خالية من الزخارف باستثناء القبة التي تتقدم المحراب والمزينة ببلاطات خزفية متنوعة فتح بها هي الأخرى أربع نوافذ (المخطط 1 والصورتين 2 و6).

وإلى جانب القباب استخدم في تغطية أروقة بيت الصلاة الأقبية المتقاطعة، وقد بدت جميلة في منظرها ومنسجمة في إنشائها.

ونجد أسفل القبة المركزية لجامع الباشا الدّكّة، وهي ترتفع عن أرضية بيت الصلاة بـ3.05م، ذات شكل مربع إذ يبلغ طول ضلعها 3.02م، وهي محمولة على أربعة أعمدة رخامية مركبة ترتكز عليها العوارض الخشبية الحاملة للدّكّة المحفوفة بدرابزين خشبية مزخرفة يصعد إليها بواسطة سلم خشبي يتكون من عشر درجات (الصورة 5).

وللعلم فقد ظهرت الدّكة لدواعي وظيفية في الأساس[35]؛ فعليها كان يقوم المبلغ (المؤذن) بإقامة الصلاة[36]، وبترديد تكبيرات الإمام وتسليمه وعبارة القيام من الركوع وغيرها مما يُقتدى بالإمام فيه، والمقرئ بترتيل القرآن الكريم، كما أوكل لهؤلاء الذين يجلسون على الدكة وظيفة المديح النبوي الشريف[37]، وقد اختلف موضعها ما بين مسجد وآخر، فأحيانا نجدها في مقدمة بيت الصلاة وأحيانا في مؤخرته وأحيانا في وسطه، إلا أنها تقع جميعها على محور المحراب، وكانت غالبا ما تصنع الدكك من الخشب لها درابزين خشبية، وتقام على أعمدة رخامية، ويصعد إليها من خلال سلم خشبي[38].

أما عدد الدعامات التي ترتكز عليها عقود بيت الصلاة فوصلت إلى 16 دعامة ذات مسقط ثماني من حجمين مختلفين ذات ارتفاع يقدر بـ1.90م، وقد استخدمت هذه الدعامات

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

منفردة كما استخدمت جنبا إلى جنب مع الأعمدة، كما استعملت أعمدة كثيرة وصل عددها إلى 54 عمودا من بينها 24 عمودا مزدوجا، وهذه الأعمدة من نوعين:

– **النوع الأول**: هي أعمدة ضخمة ملساء مشكلة من الحجارة طولها 1.90م وقطرها 0.35م، تتكون من أبدان ملساء مغروسة في الأرض دون قواعد، لها تيجان شبيهة بتيجان الدعامات، منها ثمانية استعملت إلى جانب الدعامات لحمل القبة المركزية.

– **النوع الثاني**: هي عبارة عن أعمدة مركبة تتكون من جزأين رئيسيين سفلي ثماني الأضلاع وعلوي حلزوني، ارتفاعها 2.45م، تحمل تيجان كورنثية علوها 29سم، قسمه الأسفل مشكل من صف من أوراق الأكانتس، ومن جهة أخرى نجد المساحة الواقعة بين الحلزونيات الجانبية مؤثثة بعنصر نباتي يعلوه هلال يتصل جزء منه بالوسادة، عدد هذه الأعمدة ستة؛ اثنان منها يكتنفان المحراب من الجانبين بينما تحمل أربعة الدّكّة.

أما العقود المستعملة فأهمها العقد المنكسر المتجاوز، حيث استخدم داخل بيت صلاة جامع الباشا، وشكلت منه البلاطات وعقد المحراب وعقد المدخل الرئيسي، كما شكلت منه أروقة الصحن.

ويتوسط جدار القبلة المحراب الذي يكتنفه عدة أبواب؛ فهناك باب على يمينه اتساعه 1.19م وعلوه 3م ننفذ منه إلى غرفة جدّ صغيرة يوضع بداخلها المنبر، وعلى يساره يوجد باب آخر قريب من الركن الشمالي الشرقي اتساعه 1.33م وعلوه 2.51م، له عقد مدبب.

بقي أن نشير إلى وجود باب صغير مصمت في أقصى الحائط الجنوبي قريبا من الركن الجنوبي الغربي اتساعه 0.91م وارتفاعه 1.72م، تؤطره دعامة مزخرفة بسمك 0.23م معقودة بعقد نصف دائري، أما النوافذ فتفتح في جميع حيطان بيت الصلاة وعددها 19 نافذة.

والجدير بالذكر أن مخطط جامع الباشا ينتمي إلى الطراز الوافد الذي جلبه العثمانيون معهم إلى الجزائر، ومع هذا الطراز الجديد– الذي يمثله بيت صلاة جامع الباشا ذو القبة المركزية– تختفي البلاطة الوسطى الواسعة التي تعدّ من أبرز سمات المساجد الإسلامية– لاسيما المغربية الأندلسية– وقد ظهر في تركيا على يد المهندس المعماري سنان باشا[39]، متأثرا ببناء كنيسة آيا صوفيا بالقسطنطينية، وصار المثال المحتذى في المساجد، ومن جهة أخرى غاب الصحن أو

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

الرواق الخارجي الذي كان عنصرا ثابتا لأغلب المساجد العثمانية بتركيا ومن جميع الطرز[40]، وهذا مما يجعلنا نستنتج أن المساجد الجزائرية المتأثرة بالطراز العثماني لم تكن أبدا صورة طبق الأصل لتلك المساجد التي بُنيت بتركيا.

المحراب: يتوسط هذا المحراب حائط القبلة، ويتكون من حنية غائرة على شكل خماسي شبه منتظم يقدر عمقه بـ2.10م بينما يقدر عرضه بـ2.25م، يعلو حنيته قبيبة قائمة على قاعدة ثمانية الأضلاع عاطلة عن الزخرفة، يفصل بينهما طنف قليل البروز ذي خطوط مستقيمة، يكتنف الحنية عمودان رخاميان غير مندمجين تماما يحملان عقدا منكسرا متجاوزا أكثر انغلاقا (الصورة 3).

والمؤكد أن الزخرفة الأصلية للمحراب طمست تماما واستبدلت بمربعات خزفية حديثة، ولم يبق منها إلا الشمسيات الثلاثة المخرمة التي تعلو إطاره والمصنوعة– كما يبدو– من مادة الجص.

المنبر: مازال جامع الباشا يتوفر على منبر– يبدو أنه غير أصلي– طوله 2.40م، يصل ارتفاع مقدمته إلى 2.30م في حين يصل ارتفاع مؤخرته إلى 2.70م بينما يبلغ عرضه 0.62م، يتشكل من ستة درجات عمقها 28سم وارتفاعها 18سم تنتهي باستراحة شبه مربعة أبعادها 58X67سم، ويكتنف سلمه درابزين ترتفع بنحو 28 سم شبيهة بدرابزين الدّكّة، وللتذكير فإن هذا المنبر يقوم على أربع عجلات يُدحرج من خلالها إلى بيت الصلاة كل يوم الجمعة وخلال أيام الأعياد.

المئذنة: تقوم في الركن الجنوبي الشرقي للجامع بعيدة بـ5.90م عن بيت الصلاة، ذات مسقط أفقي مثمن الشكل طول ضلع قاعدتها 1.40م ويبلغ ارتفاعها نحو35م[41].

نصل إلى داخل مئذنة جامع الباشا عبر باب اتساعه 1م وارتفاعه 2.03م تواجهه نواة مركزية على هيئة دعامة شبه مربعة مساحتها 1.80 X1.66م، يلتف حولها درج صاعد عكس اتجاه عقارب الساعة عدد درجاته 147 درجة عرض كل منها 80سم.

غُطي الدرج بأقبية نصف أسطوانية تتحول في الأركان إلى أقبية متقاطعة على غرار معظم المآذن الإسلامية، ويوجد أعلى كل بسطة فتحة صغيرة للإضاءة والتهوية، ونصل عبر هذا

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

الدرج الصاعد إلى سطح البرج الرئيسي من باب اتساعه 0.62م وارتفاعه 1.71م، هذا السطح محاط حاليا بسياج معدني حديث، يتوسطه جوسق ذو مسقط مثمن طول ضلعه 0.80م وارتفاعه 6.30م، ازدانت أوجهه الثمانية في نصفها العلوي بشريط من المربعات الخزفية.

غُطي الجوسق بقبيبة مضلعة تميزت من الخارج بأخاديدها، الأمر الذي لم نلاحظه على باقي قباب الجامع، ثُبت في أعلاها سفود ذي ثلاث تفافيح من البرونز ينتهي بهلال، وظهور الأخاديد على القباب ليس بالشيء الجديد، حيث عهدناه في مآذن أخرى[42]، ونذكر هنا أن الممشى الذي يلتف حول الجوسق اتساعه 1.50م.

تغطي أوجه البرج الرئيسي الثمانية زخارف متشابهة قوامها عناصر معمارية وهندسية بسيطة تتوزع على خمسة قطاعات زخرفية، القطاع الأول لا يظهر منه إلا وجه واحد فقط لاحتجاب باقي الأوجه خلف البنايات الملتصقة بالمئذنة.

كل واجهة من القطاع يشغلها نطاق (حشوة) مستطيل غائر قليلا عن وجه المئذنة قوامه عقد مصمت نصف دائري ذو فصوص متراكبة (متقاطعة) يعلوه شريط من البلاطات الخزفية، أما القطاع الخامس فمتوج في أعلاه بشريط من البلاطات أكثر عرضا، ويفصل بين القطاع الثالث والقطاع الرابع طنف بارز يقسم البرج الرئيسي ظاهريا إلى قسمين، عرض هذا الطنف يقدر بـ70سم مما يجعل المئذنة تبدو وكأنها مكونة من ثلاثة طوابق (المخطط 3 والصورة 4).

وتعتبر المئذنة أهم عناصر المسجد– إضافة إلى بيت الصلاة والصحن والمحراب– بما ضمته من عناصر معمارية عديدة وما احتوته من زخارف ثرية[43]، وتمثل دورها الأساسي– عموما– في النداء إلى الصلاة، وقد أعطت للمسجد طابعا جد مميز، بل كان "لها معنى ومغزى أوسع من مجرد رمز للحضور، ونادرة جدا في الحالات التي يخلو فيها مسجد من مئذنة"[44]، وكانت تضاء بالمصابيح في شهر رمضان عند كل غروب، ثم تطفأ مع طلوع الفجر إيذانا ببدء يوم جديد من أيام الصيام[45].

وقد تأخرت المئذنة في الظهور، ويعتقد أن أولاها هي تلك التي بناها زياد بن أبيه عام 45هـ بمسجد البصرة حينما قام بتجديده[46]، إلا أن أقدم مئذنة ما تزال قائمة إلى اليوم هي التي بجامع القيروان[47].

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

والجدير بالذكر أن المآذن المثمنة كانت واحدة من العناصر المميزة للعمارة الرسمية ببلاد المغرب التابعة للخلافة العثمانية[48]، حيث ظهرت في مختلف مدنها على غرار طرابلس وتونس إضافة إلى الجزائر وقسنطينة وعنابة ووهران وغيرها، كما ظهرت في ذات الفترة ببعض مساجد بلاد المغرب الأقصى غير الخاضعة للحكم التركي[49]، إلا أنه من المسلم به أن تركيا عُرفت مساجدها خاصة بمآذنها الأسطوانية الرشيقة ذات القمة المخروطية المدببة، شكل لم يتردد كثيرا في بلاد المغرب عموما وفي الجزائر على وجه الخصوص.

وكانت المآذن ببلاد المغرب والأندلس مربعة لفترة طويلة حيث فرض هذا الشكل وجوده مبعدا جميع الأشكال الأخرى، والذي يبدو أنه مستوحى من جامع دمشق[50].

وعموما فان المآذن في الجزائر خلال الفترة العثمانية تعددت أشكالها؛ فنجد المئذنة المربعة والمئذنة المضلعة والمئذنة المركبة[51].

ومن جهة أخرى فقد كانت تزود رؤوس جواسق بعض المآذن بعمود (سارية) تُرفع عليه راية خلال مواقيت الأذان نهارا، وفي الليل تُستبدل تلك الرايات بمصباح مضيء إعلانا بدخول وقت الصلاة لمن لا يتسنى له سماع الآذان[52]، وهو الأمر الذي تأكدنا منه بالاعتماد على ما ذكره الرحالة الألماني هابنستريت الذي زار مدينة الجزائر سنة 1145هـ/1732م حيث قال: "...ففي أذان الظهر يعلق فوق المنارة علم أبيض وبعد منصف النهار (العصر) يعلق علم أخضر"[53]، وفي ذات السياق يقول الرحالة الألماني هاينريش فان مالتسان الذي أقام بالجزائر لمدة خلال منتصف القرن الثامن عشر: "ولا توجد في المدينة (الجزائر) سوى أربعة مساجد حقيقية تقام بها صلاة الجمعة بصورة منتظمة، ويرفع فوق منارتها العلم الأبيض خمس مرات يوميا إيذانا بحلول مواعيد الصلاة"[54]، وهذا فعلا ما تبين لنا من خلال رسومات ليسور (Lessore) وويلد (Wyld) حيث تظهر جليا الأعلام البيضاء المعلقة في السرايا[55]، وكان الأمر لا يختلف في باقي المدن– حسب ما نعتقد– ومنها مدينتي البليدة والمدية[56]، بالإضافة إلى مدينة وهران حيث تثبت ذلك بعض اللوحات الفنية (رسومات) المنجزة في بداية الإحتلال أين تظهر تلك الأعلام (الرايات) فوق جوسق المآذن[57]، أما المصابيح (القناديل) التي كان من

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

المفترض استعمالها ليلا فلم نقف عليها إلا من خلال لوحة واحدة لأحد مساجد مدينة المدية تضمنها كتاب روزي (Rozet)[58].

غير أن الأمر اللافت للانتباه والذي يجب الوقوف عنده مليا، والذي أعتبره ابتكارا إسلاميا محضا هو الاتجاه الذي أخذه سلم مئذنة الجامع، وهو الاتجاه المعاكس لعقارب الساعة، وهذا النظام المعماري عرفته– من خلال معايناتنا الميدانية أو حسب علمنا– جميع مآذن الجزائر خلال الفترة العثمانية كما عرفته أيضا مآذن بلاد المغرب والمشرق خلال نفس الفترة والفترات السابقة، بل وعرفته أقدم المآذن القائمة على الإطلاق، وعلى رأسها مئذنة جامع القيروان التي تكون قد بنيت مطلع القرن الثاني الهجري بالإضافة إلى مئذنتي رباط المونستير وسوسة.

والأكيد أن المعماري المسلم لم يحدد اتجاه الدرج الصاعد بصورة تلقائية بل وفق تقنية علمية مدروسة قد أخذت في اعتقادنا أبعادا دينية باعتبار أن الطواف حول الكعبة يكون في هذا الاتجاه صحي، وهو الأهم لما له من فائدة على صحة الصاعد عبر هذه السلالم، وهو المؤذن غالبا فهو أريح للقلب من جهة، ومن جهة أخرى يخفف من الشعور بالدوار والغثيان. ويبدو أن المسلمين أدركوا هذا الأمر الهام منذ صدر الإسلام؛ فبنوا سلالم مآذنهم دون استثناء وفق ذلك الاتجاه[59].

ورغم أهمية هذا الابتكار الذي اكتشفناه، والذي اهتدى إليه المسلمون منذ مطلع القرن الثاني للهجرة على الأقل؛ فإن المعماريين المعاصرين بما فيهم المسلمين لم يدركوا إلى اليوم قيمة هذه التقنية، وهذا ما يفسر بناءهم للسلالم في العمائر الشاهقة، ومنها المآذن كيفما اتفق دون مراعاة للاتجاه.

ملحقات الجامع: ضم جامع الباشا العديد من الملاحق، ومن بينها حجرة ضيقة تقع يمين المحراب مباشرة كانت مخصصة لوضع المنبر، تأخذ شكل اللام الوسطية المقلوبة، ووجود هذه الحجرة ومساحتها وموقعها هو تقليد كان معمول به في بلاد المغرب الاسلامي، واستمر العمل به حتى خلال الفترة العثمانية، والمرجح أنه ظهر أول ما ظهر بتونس خلال الفترة الأغلبية حيث مازلنا نراه في جامع الزيتونة وصفاقس والمنستير وغيرها[60]، ولئن كان المنبر غير ثابت في

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

مكانه ببلاد المغرب فلا يخرج من حجرته إلا يوم الجمعة بواسطة عجلات؛ فإن الحال يختلف في مصر والشام والعراق بحيث نراه مستقرا إلى جانب المحراب[61].

وفي الركن الجنوبي الشرقي من الجامع بين بيت الصلاة والمئذنة نجد ميضأة، وهي تتكون من طابقين؛ طابق أرضي مخصص لسبغ الوضوء وطابق علوي– نصله عبر سلم من عدة درجات– يتوفر على العديد من المرشات للاغتسال والكنيفات، وللذكر فهذه الميضأة حديثة والظاهر أنها استحدثت عقب الاستقلال.

كما توجد في نهاية الرواق الشمالي– الغربي لصحن الجامع حجرة تبدو حديثة، ذات مساحة صغيرة تضم بداخلها بئرا غير مستعمل حاليا يصل عمقه إلى نحو خمسة أمتار، وبالرغم أننا لا نعرف متى بالضبط بني هذا البئر؛ فالأكيد أنه حفر لتزويد الجامع بالماء، الأمر الذي يجعلنا نرجح أن يكون قديما قدم الجامع.

ومن الملاحق الأخرى التي ضمها الجامع غرفة تقع عند نهاية الرواق الجنوبي الشرقي، وهي غرفة ضيقة غير منتظمة الأبعاد تمتد طوليا، ويبدو لنا أن هذه الغرفة ليست حديثة البناء، وقد تكون بنيت بالموازاة مع رواقي الصحن، أما عن وظيفتها فالظاهر أنها استخدمت كمخزن لوضع بعض أثاث الجامع.

كما توجد غرفة أخرى تقع خارج الركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة، إلى الجنوب من الغرفة السابقة ترتفع بنحو 2.50م عن أرضية الجامع، نرتقي إليها عبر سلم من 17 درجة ذات شكل أقرب إلى المربع، أما عن وظيفة هذه الغرفة فلم نقف عليها، خاصة وأننا نعتقد أنها حديثة وليست من الملحقات الأصلية للجامع.

التغييرات والتجديدات التي طالت الجامع: مقارنة مع جامع محمد بن عثمان الكبير الذي مسته تغييرات كبيرة؛ فإن جامع الباشا ولا سيما بيت الصلاة حافظ على جانب كبير من أصالته، ولم يطله التغيير إلا في أجزاء محددة، ومن أبرزها المدخل الواقع على يمين مدخله الرئيسي، والذي يكون قد أضيف في السبعينيات من القرن الماضي حسب ما أكده قيم الجامع، وداخل الصحن تمّ حفر بئر في أقصى الرواق الأيمن ثم سور بجدارين، وفتح باب في الجدار المقابل للصحن.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

كما أضيفت ميضأة حديثة في الركن الجنوبي الشرقي خلف بيت الصلاة وهي ملتصقة تماما بالمئذنة، يتكون القسم الأيمن منها من طابقين اثنين، وعلى العموم فهذه الميضأة بنيت بطريقة جد بسيطة بحيث لا تتناسب والشكل المعماري للجامع ككل.

داخل بيت الصلاة لم يمس التغيير تقريبا إلا حنية المحراب وواجهته الخارجية واللتان لبستا ببلاطات حديثة، إلا أن أهم تغيير حدث وبعد البحث والتدقيق في المخططات والرسومات القديمة هو الصحن وما يتصل به من المدخل الرئيسي الحالي والنافورة وغيرهما، وما ترتب عن ذلك من إزالة لبعض ملحقات الجامع الأصلية كالرواق الجانبي والميضأة اللذين كانا يتقدمان بيت الصلاة، وهي تغييرات حدثت في بداية الاحتلال.

ووفق ما توفر لدينا من تلك المخططات والرسومات القديمة العائدة إلى بدايات الاحتلال فإن الجامع لم يكن يتوفر على صحن بالمعنى الاصطلاحي للكلمة؛ إنما على ما يشبه فناء مسور له مدخل يقع مقابل مدخل بيت الصلاة تماما، وعلى يسار هذا الأخير كانت تمتد فيما يبدو ست حجرات صغيرة يتقدمها رواق لكل منها نافذة تشرف على الخارج، وفي مقابل هذه الحجرات نطالع ميضأة معدة لسبغ الوضوء وللشرب أيضا، ذات مخطط مثمن تعلوها قبة مثمنة محاطة برواق له ثمانية عقود منكسرة متجاوزة تحملها أعمدة أسطوانية ذات تيجان، وهي مزودة من جميع الجهات كما يبدو بمصاطب حجرية لجلوس المتوضئين، وأمام الميضأة كانت توجد نافورة للمياه.

خاتمة: يعتبر جامع الباشا أحد المعالم الأثرية والتاريخية الهامة بوهران، وهو الوحيد من بين مساجد المدينة الأثرية الباقية الذي بني وفق الطراز العثماني الوافد، ويتجلى ذلك لاسيما من خلال بيت صلاته ذات القبة المركزية التي تحيطها القبيبات من كل جانب، وأيضا من خلال مئذنته المضلعة، وهو بالتالي لا يختلف كثيرا من حيث خصائصه عن تلك المساجد– ذات الطراز الوافد– التي تعود لنفس الفترة في باقي مدن الجزائر، وقد حافظ هذا المسجد على طابعه الأصيل سواء من حيث مخططه المعماري أو زخارفه الفنية، ومن زاوية أخرى فقد وضعنا صحنه نصف الدائري فيما سبق أمام إشكالية حقيقية، إلا أنه بعد البحث والتدقيق في المخططات والنصوص الفرنسية القديمة تبين أن الصحن وملحقاته بنيت في بداية الاحتلال.

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ونظرا لما لحقه من أضرار خاصة على مستوى بيت صلاته فإن حالته هذه تستدعي من السلطات المعنية عملية ترميم مستعجلة للحفاظ عليه كإرث حضاري وتاريخي.

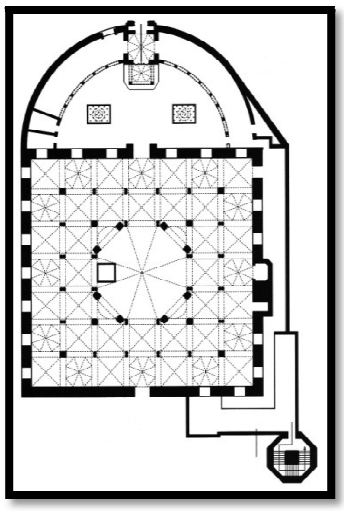

مخطط 1: جامع الباشا.

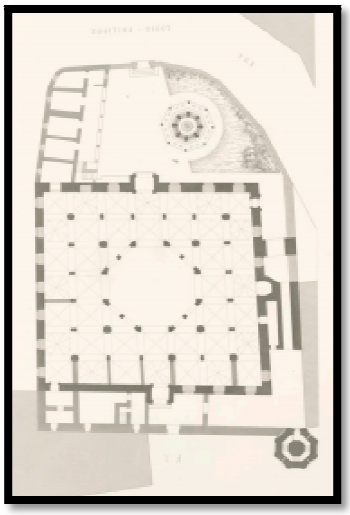

مخطط 2: جامع الباشا عام 1842م

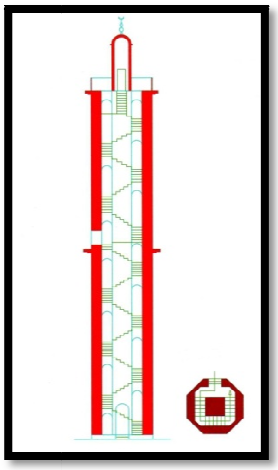

مخطط 3: مقطع طولي وعرضي لمئذنة جامع الباشا.

صورة 1 : جامع الباشا

صورة 2 : سطح جامع الباشا

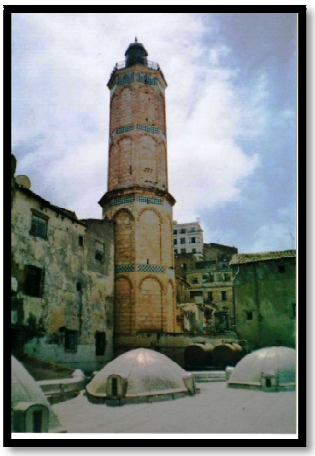

صورة 3 : المحراب

صورة 4: المئذنة

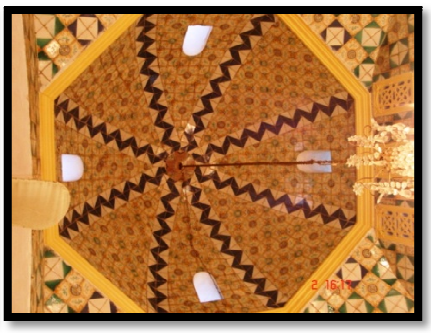

صورة 5: الدّكة

صورة 6: القبة التي تتقدم المحراب

ردمد ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

الهوامش:

1- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1399هـ/1979م، ص203، 204.--2– الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، الجزء الأول، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م، ص 294، 295.

3- نفسه، ص. 296.--4- نفسه، نفس الصفحة.

5-Fey ,Henri-Léon, Histoire d'Oran ; avant, pendant et après la domination espagnole, Edition Dar-el-Gharb, Oran, 2002, P. 283./Pièsse,L. Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, , Librairie Hachette, Paris, 1855, P. 283

6- الزياني، المصدر السابق، ص 204.

7- Derrien Isidor, Les Français à Oran, depuis 1830 jusqu'à nos jours, Imprimerie J. Nicot, Aix,1886,P.29.

8- حول هذه التصنيفات أنظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت الطبعة الأولى، 1998م، ج4 صص388–390.--- 9- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3 صص111–117.

10-Rapport sur la mosquée du Pacha, Agence nationale d'Archéologie et de protection des sites et monuments historiques, Circonscription archéologique d'Oran, 2004.

11- مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، مصلحة الإرشاد والشعائر الدينية والأوقاف، مراسلة موجهة لإمام مسجد الباشا، مؤرخة بتاريخ 2010/5/24م.---12- ولاية وهران، مديرية التنظيم والشؤون العامة، قرار يتضمن غلق مسجد الباشا من أجل الترميم وإعادة التهيئة، 20 ماي 2010م.---13- أمر رقم 67- 281 مؤرخ في 19 رمضان 1387 الموافق ل20 ديسمبر 1967م يتعلق بالحفريات وحماية الأماكن والآثار التاريخية والطبيعية، ملحق 1، قائمة الأماكن والآثار التاريخية المدخلة في الترتيب بتاريخ 20 ديسمبر 1967م، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 7، السنة الخامسة، الثلاثاء 23 شوال 1387هـ/ 23 يناير 1968م، ص88.

14- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص122.---15- المزاري، المصدر السابق، ص290.---16- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص125،126.-- -17- فليتة: هي قبائل مشهورة عربية الأصل، موقعها بين غليزان وتاهرت كان الأتراك يعينون لها قائدا مميزا، لقوتها وخطورتها.- أنظر بن عتو بلبراوات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري: 1779-1797م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م، ص65، 66.--- 18- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص125.---19- الزياني، المصدر السابق، صص196–199.---20- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص248.---21- الزياني، المصدر السابق، ص199.---22- نفسه، ص204/أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص63.---23- نفسه، ص63.

24-Fey H.L Histoire d'Oran.., P.281.

25- الزياني، المصدر السابق، ص204، 205.---26- أنظر ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، صص132–135/الزياني، المصدر السابق، صص202–204.---27- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص127، 133. وأنظر أيضا أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحرير وتقديم محمد بن عبد الكريم، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2004م، ص27 و28.---- 28- الزياني، المصدر السابق، ص 204.

29-Benkada Saddek, Espace urbain et structure sociale à Oran de 1792 à 1831, Mémoire de diplôme d'étude approfondies, université d'Oran, Institut des sciences sociales, Oran, 1988, P.P. 135 - 137. ---30- Benkada Saddek , Op. Cit., P. 144.

31- Marçais,G. l'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphiques, Paris,1975,P. 340.

32- الجهة الرابعة لهذا الجوسق متصلة بحجرة المدخل من خلال شبه شرفة وقد سبقت الإشارة إليها.

ردمد ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

33- Ravoisié Amable, Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840,1841,1842 ; Beaux-Arts, architecture et sculpture, Firmin Didot frères, Libraires, Paris, 1851 p. 183.
34-Reclus Onésime, Sites et Monuments; Algérie (Alger- Constantine- Oran), Tourning –club de France, Paris, 1902, P.17.---35- Encyclopédie de l'Islam, Nouvelle édition,T 6, « Manar et Masdjid », G.P. Maisonneuve et Larose, S.A., Paris, 1991, P.649.

36– كان مناطا بالدكة أداء وظائف أخرى غير التبليغ ومن ذلك الأذان الثاني (الإقامة) من داخل المسجد، فبعد هبوط المؤذنين من فوق المئذنة أو المآذن التي قد تلحق بالمسجد يجلسون على هذه الدكة ومن عليها يعلنون عن إقامة الصلاة حين وقت الصلاة.

Encyclopédie de l'Islam, T. 6, Op. Cit., P.649 et 663. -

وأنظر حسني محمد نويصر، "دكك المؤذنين في العصرين المملوكي الجركسي والعثماني بمدينة القاهرة"، بـ Annales islamologiques, Institut français d'Archéologie orientale, N° 25, 1991, Le Caire, P. 14.

37– حول مختلف الوظائف التي تقام على الدكة من قبل المؤذنين أو غيرهم. نفسه، صص14–20.

38– يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1999م، ج2 ص39.

39– ولد المهندس المعماري الفذ سنان باشا عام 1479م في قرية أغرناس قرب قيصرية، باشر تكوينا عسكريا في شبابه، وبعد إنهاء تعليمه العسكري شارك في عدة حملات عسكرية قادته إلى الكثير من البلدان بالمشرق وأوروبا، وكانت بداية مسيرته المعمارية حين إقامته لجسر في ظرف 13 يوما فوق نهر بروت أثناء حملة مولدافيا، مما أكسبه تقدير السلطان سليم الأول، ثم اختير كبيرا للمهندسين حينما بلغ من العمر 50 سنة، وفي تلك الأثناء كان سنان قد شيد 364 بناء على أراضي الخلافة، ويعتبر مسجد شهزاده ومسجد السليمانية باستنبول ومسجد السليمية بأدرنة من أعظم منجزاته المعمارية. توفي المهندس سنان عن عمر ناهز 110سنة وذلك عام 996هـ/1588م. وقد عايش سنان باشا أربعة من السلاطين العثمانيين وخلف لنا 63 مسجدا و49 مصلى و52 مدرسة و27 قصرا و31 حماما و18 ضريحا و18 خانا و3 مستشفيات و7 قناطر وغيرها. أوقطاي آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث التاريخية والفنون والثقافة الاسلامية باستنبول (IRCICA)، استانبول، 1987م، ص195،196،204،206. وأنظر حسن باشا، موسوعته، المجلد الثاني، ص69.---40– محمد حمزة إسماعيل، العمارة الاسلامية في أوروبا العثمانية، المجلد الأول، جامعة الكويت، ط1، 2002، ص184.---

41– ذكر بعض المؤلفين والكتاب أن طول المئذنة هو 32م إلا أنه بعد التدقيق في القياسات تبين لنا أن طولها هو 35م (34م دون السفود)، وهي تعدّ ثاني أعلى مئذنة في الجزائر بعد مئذنة جامع المنصورة البالغ علوها 38م. أنظر

–Bourouiba, R. , Apports de l'Algérie à_l'architecture religieuse arabo-islamique, O.P.U., Alger, 1987, P.274.

42– من هذه المآذن نذكر على سبيل المثال: مئذنة جامع الكتبية بمراكش ومئذنة جامع القيروان، عن ذلك أنظر

-Marçais,G. Manuel d'Art musulman, Edition Auguste Picard, Paris, 1926, P.399, Fig. 227.
Marcais,G. l'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1975, P.13, Fig.1.

43- عبد العزيز لعرج، "المنشآت الدينية المرابطية بمدينة ندرومة؛ المسجد الجامع"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 6، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004–2005، ص148.

44-Grabar, O. La formation de l'Art islamique, traduit de l'Anglais par Yves Thoraval, Flammarion, Paris, 2000,P.163 et 166.

45– يحي وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص144.

46-Encyclopédie de l'Islam, T. 6, Op. Cit., P. 346.

47– يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، الجزء 2، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1999م، ج2 ص101.

48-Ahmed Saadaoui, Op.Cit., P. 85. ---49-Ibid , P. 92 et 104.---50-Marçais, G. L'Architecture…, P.209.

51– عن مآذن الفترة العثمانية بالجزائر وأشكالها المعمارية أنظر عزوق عبد الكريم، تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1991م. الفصل الرابع.---52– جمعة أحمد قاجة، المرجع السابق، ص. 353.---53– هابنسترايت، رحلة العالم

ردمد ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ب.ت. ص38.---54- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م، ص84.

55- أنظر على سبيل المثال اللوحات من كتاب

-Lessore, E., et Wyld, W., Voyage pittoresque dans la régence d'Alger, pendant l'année 1833, Charles Motte, Paris, 1835.

56- أنظر

- Claude-Antoine Rozet, Voyage dans la régence d'Alger ; ou Description du pays occupé par l'armée française en Afrique, Arthus Bertrand, Laibraire-Editeur, Paris, 1833

57- يبدو أن هذا التقليد استمر العمل به إلى غاية مطلع القرن العشرين على الأقل، وهذا من خلال ما بينته بعض الصور التي التقطت خلال الفترة المذكورة. أنظر.Reclus Onésime, Sites et Monuments

58- أنظر- . Rozet, Voyage dans la régence d'Alger

59- لقد تأكدنا من هذا الأمر من خلال معاينتنا للعديد من المآذن سواء داخل الجزائر أو خارجها وأيضا من خلال المخططات والصور للمآذن التي لم يتح لنا معاينتها.---60- حسن عبد الوهاب، "الآثار الفاطمية بين تونس ومصر"، مؤتمر الآثار في البلاد العربية، العدد 4، 18-29 ماي 1963م، ص362.---61- حسن عبد الوهاب، "فتوح الذوق الإسلامي في الفنون؛ خصائص العمارة الإسلامية"، مجلة الأزهر، المجلد 24، الجزء 1، محرم 1372هـ /سبتمبر 1952م ص. 85.